قصيدة الفراسة

هذه أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الاجناس وماخص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله — على سبيل الاختصار وهي من النوادر العزيزة الوجود اذ لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب لاحمد بن ابراهيم موفق الدين أبي ذر ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ وقد كتب هذه القصيدة بخط يده وعنه نسختها وكان المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في احدى زياراته منزلي وطلب مني أن أسمح له بنقلها فاعتذرت له ولم أجب طلبه حرصاً عليها وأخبرني انه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة احداهما مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة .

والذي يغلب على الظن استدلالاً من أسلوبها واستنباطاً من تسميتها البلدان والاقاليم وأجناس الناس بأسمائها المذكورة فيها — أنها مما نظم في القرن الرابع اوالخامس .

وليس الغرض من نشرها بيان نعوت البلدان والسكان التي ذكرت فيها ولاذكر محاسنهم ومساويهم إنما الغرض من نشرها بيان عقلية ذوي الثقافة في أهل الزمن الذي نظمت فيه فيما حكته عنهم وهي من جهة أخرى قد تعد أثراً تاريخياً قديماً يستحق ان يحرص على حفظه وصونه من الفقدان والضياع .

والذي أعتقده من ذوي الثقافة في هذه الايام انهم لايحفظهم مايرونه في هذه القصيدة من ذكر مساوئ بلادهم اوأجناسهم فان سعة مدار كهم ترشدهم الى ان طباع الناس والأقاليم قد استحال الكثير منها الى الضد والنقيض اذ من نظر في مرآة الوجود وبحث في أحوال تلك البلاد وأخلاق أهلها وطبق محاسنها ومساويها على ماورد في هذه الأرجوزة —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تراءى له أن أكثر ماتضمنته قد أحاله الزمان الى عكسه فانقلب البلد العامر خرباً والخارب عامراً وهذا مصداق ماقاله الحكيم : « ليس ترداد حركات الفلك الا احالة الكائنات عن حقائقها » قيل ومنه أخذ المتنبي قوله :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت علي عينه حتى يرى صدقها كذبا

ان الكائنات تتأثر بالزمان اكثر من تأثرها بالمكان قال فيلسوف العرب النابغة المعري :

اما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبت

وله : يقال ان زماناً يستقيد لهم حتى يبدل من بؤس بنعماء

وله : ان المواهب كلها عارية ومن السفاهة غبطة بعطائها

وله : زمان يخاطب ابناءه جهاراً وقد جهلوا ماعنا

يبدل باليسر اعدامهم وتهدم احداثه ما بنا

ولابي تمام في المعنى :

ارض مصرّدة وأخرى تسجم تلك التي رزقت وأخرى تحرم

واذا تأملت البلاد رأيتها تثري كما تثري الرجال وتعدم

حظ تعاوره البقاع لوقته وادٍ به صفر وواد مفعم

حلب : كامل الغزي

وهذه هي القصيدة :

القصيدة الموعود بذكرها

الحمد لله على الهداية والعلم والتوفيق والدراية

هذي قصيد الحدس والفراسة نافعة لصاحب السياسة

يعرف منها كل مستسر في الناس من ذي صالح وشر

وأي جنس فيهم النجابة والرأي والتحريف والاصابة

وأيهم يرغب في السداد ويقتني للمهن الشداد

وأيهم في طبعه شراسه وأيهم ليس له رياسه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن يكون صالحاً للخدمة ومن له عزيمة وهمة
وعلم ما أثّرت البلاد في طبعهم وماله استفادوا
فافهم مقالي فهو عين الرشد ان كنت تبغي بغيتي وقصدي

« ذكر العرب »

خير البرايا والأنام العرب كذاك قال العالم المجرب
طابوا فروعاً وزكوا اصولاً لانهم لم يلدوا مجهولا
ونزلوا نجداً وارض نجد سليمة من كل طبع مرد
فسلموا من شره العراق وغلظة الشآم والرستاق
ففيهم العزة والحمية والشيمة الطاهرة الزكية
كراهة الغدر وبذل الجود والطعن بالمثقف الأملود
وفيهم الخداع والعداوة والشر والارهاب والقساوة
وفيهم نجابة الاولاد وعندهم فضائل الأمجاد
رعاية الجار وحق الضيف موجودة فيهم وضرب السيف
وفيهم تراحم وعطف وفيهم عتب وفيهم عنف
أمينهم ليس له مماثل كما الخؤون ماله معادل

« ذكر العجم »

والفارسيون لهم مكارم يعرفها من لهم يلائم
لهم خلال ولهم رياسة وفيهم السداد والكياسة
وعندهم بخل وفيهم كبر وعزة ومنعة وفخر
والرحمات عندهم كثيرة والنغمات فيهم شهيرة
وفيهم نجابة معروفة وهمة وعزمة موصوفة
وعندهم رأي وفيهم علم وصنعة وحكمة وفهم

« ذكر الترك »

والترك فيهم قسوة وعظمة وجرأة ما ان لديها مرحمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يعرفون العفو والوفاء ولا يرون الجود والسخاء
وفيهم النسيان والكفران وفيهم الابطال والشجعان
وفيهم الليوث يوم الحرب وفيهم كل مليح عذب
لهم قدود ولهم خصور والوجنات الحمر والشعور
وفيهم نجابة الأولاد لكن عروا من حكمة السداد

« ذكر الديلم »

والعقل في الديلم والسداد في حسنهم ليس له نفاد
وفيهم شهامة وفضل وعفة ورتبة ونبل
في نسلهم نجابة وقسوة وغلظة في طبعهم وجسوة
وفيهم جبرية وظلم وفيهم قساوة وغشم
وعندهم شطر من الآداب ومن رجوع العقل للصواب

« ذكر الأكراد »

والشر كل الشر في الاكراد لبعدهم عن منهج السداد
وفيهم للحرب والقتال جلادة والطعن بالعوالي
لكن جميل الخلق والصباحة ليست لهم كلا ولا السماحة
ونسلهم يصلح للجلاد وللامور الصعبة الشداد

« ذكر الروم »

والروم فيهم أدب وظرف وغلمة ونغمة ولطف
وفيهم العقول والألباب وفيهم الآراء والصواب
وفيهم فوارس الشجاعة والعلم والحكمة والصناعة
وفيهم اللذة والتمتع لكنهم مافيهم تصنع
وفيهم البخل وذل النفس وفيهم الفهم وصدق الحدس
لكل شيء يصلح الغلام منهم وهذا الشرف التام

« ذكر الارمن »

وليس في الأرمن خير فاعلم ان كنت يا صاح اخا تفهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للشغل الشاق من الاعمال براهم ذو العز والجلال
وفيهم ضرب من الجمال لكنه يندر في الرجال
وفيهم قذارة وخسة وذل نفس ليس فيه لبسة

« ذكر الفرنج »

كذلك الفرنج شر الأمم في غلظ الطبع وخبث الشيم
أبخل من براه رب الناس من سائر الضروب والاجناس
لكنهم ابطال يوم الحرب واعمل الخلق بحد القضب
وعندهم سياسة قليلة وحكمة لكنها ضئيلة
وفيهم رشاقة القدود وحمرة الوجنات والخدود

« ذكر اللان »

واللان جنس خلقوا للخدمة وللمعاناة وحفظ الحرمة
فان تردهم للنكاح والولد فانت في ذاك على غير الرشد

« ذكر الهند »

والهند فيهم عفة وفسق وقسوة وباطل وحق
لهم شعور ولهم قدود وهم اهيل وهم عبيد
ان استرقوا يصلحوا للرق وللطرفات[1] وللاشق
وللنتاج ثم للاولاد وللخصومات وللجلاد

« ذكر السند »

ألأمُ جنس الناس جنس السند فلا ترد منهم سلوك القصد
لهم خصور ولهم شعور لكنما أذاهم كثير
براهم الله الشديد الحول فاتبع سبيلي واستمع لقولي

« ذكر البربر »

أنجب أجناس الرقيق البربر لاسيما الجنس اللطيف الاصفر
للوطيء والأولاد والبيوت يخترن لا للكد والتعنيت

(١) نسخة : وللضرورات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نعم وفيهم للغناء طبع وللعلوم الرائقات جمع
والكيس والظرف لهم شعار فاخترهمُ فجنسهم مختار
وفيهم سوء وخبث دخله وعندهم بخل وفيهم خله

« ذكر الزَرَنج »

ان الزرنج في العبيد وسط وأمرهم أمر به تخلط
يصلحن للنكاح لا للولد ثمت للخدمة والتودد
ما فيهم عقل ولا رياسة كلا ولا عندهم سياسة

« ذكر أجناس السودان »

وفي الزنوج غلظ الطباع وفيهم ميل الى البضاع
ما فيهم لناكحيهم منية ولا لقانيهم غداً من بغية
الا لاهل الريف والرستاق وكل ذي أمر شديد شاق
براهم لذاك رب الناس فلا تكن عليهم بالآسي

« ذكر صقع سرنديب »

من في سرنديب يكون مولده يطيب منه عيشه ويحمده
ولا يزال ضاحكاً مستبشرا كأنما يشرب صرفاً مسكرا

« ذكر خراسان »

من في خراسان يكون شهما قاسي الفؤاد لا يراعي رحما
له رواء حسن ومبسم لكنه عن خيره مجمجم

« ذكر نيسابور »

كذاك نيسابور فيها عجب وليدها فيه البذا والعجب[1]
لا يعرف الفضل لرب الفضل لما عليه قد يرى من جهل
وفيهم شراسة وخفة وغلظة ومسكة وكلفة

« ذكر اصفهان »

وجيء فيها شرة وخيرة لكنها شهرتها الشهيرة

(١) كذا ولعله الصخب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس لمن في ارض اصبهان خليقة غير اذى الجيران
لهم رواء ولهم جمال وفيهم الحيلة والادلال
وفيهم تعصب في الطبع لغير دين ولغير شرع

«ذكر الري»

والري فيها الكيس والظرافة لكنها في طبعها كثافة
لهم عقول ولهم آداب لكنما آراؤهم تصاب
وفيهم شجاعة وقوة وعندهم في طبعهم عتوة
وليدها يركب كل صعب ولا يخاف نازلات الخطب

«ذكر مرو»

ومرو في تربتها السلامة وفي بنيها النقص والفدامة
ليس بها فضل ولا وسامة ولا لها في اهلها كرامة

«ذكر طوس»

تولد الجهل مع المولود وتسلب الرشد من الرشيد
وليدها يعرف في الاقطار بانه من جملة الابقار
وفيهم شراسة وحدة وعندهم لآمة وشدة
والحسن في غلمانهم معروف لكنهم ليس بهم ظريف

«ذكر هراة»

وفي هراة كل امر معجب من العلى والدين والتأدب
وكل فضل من دقيق العلم في اهلها وكل أمر فخم
وفيهم بسالة وقوة لكنهم ليس لهم مروّة
وفي أُنائيهم جمال ظاهر يعرفه المقيم والمسافر
وفيهم بغض لاهل الحق فيا لهذا من لئيم الخلق

«ذكر همذان»

وان ترد في همذان خيرا عز ولو انك كنت طيرا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مدينة في طبعها فظاظة وفي بنيها الشر والغلاظة
الجهل فيهم شائع مشهور والعقل بهم خامل محقور
وفيهم دناءة ولوم وترف شيطانه رجيم
قد سلبوا الغيرة والسدادا والفوا الخصام والعنادا
وفيهم تعاشر في الذنب فيا لهذا من قبيح الادب
وفيهم محاسن وظرف لكنها ليس عليها عطف

« ذكر الاهواز »

وعند اهل الخوز والأهواز جماع كل الشر والمخازي
وفيهم علي دني الانفس بأس ولكن ليس عن تفرس
وفيهم من الجمال والمقه خليقة لكنها مستحلقه
وفيهم لباقة وشكل لكنها عم عليها الجهل
وقد سبى النساء للرجال في الحسن والعفة والاشكال

« ذكر مازندران »

مازندران في بنيها ظرف وعندهم رياسة ولطف
لكنهم في خلقهم شراسة وحدة أزرت على الرياسة
وفيهم تكرم وجود يعتاده الاحرار والعبيد

« ذكر البصرة »

وعند اهل البصرة الرداءة واللوم قد ضما الى الدناءة
في تربة الارض وفي الهواء جبلة للفهم والذكاء
وفيهم شر وفيهم لوم شعاره عليهم معلوم
وفيهم سماحة الاخلاق قد جبلت بالرقع والشقاق
وفيهم نتائج النفاق وكلما يجمع في الفساق

« ذكر الكوفة »

والكوفة الحمراء في هوائها عجائب وتربها ومائها
الغدر في ترابها مجبول والخير عن مياهها مشغول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما لهم عهد ولا وفاء لكن عليهم غلب المراء
بالمبدعات عنهم سار المثل وطبق الارض سهولاً وجبل
وعندهم غوص على العلوم منثورها والحكم المنظوم
وفيهم حسن الطلا معروف يعرف ذاك الفهم الظريف

«ذكر بغداد»

وعند بغداد اعتدال تام في ارضها ليس له اكتتام
مولودها افهم كل ناطق بالعلم والآداب والخلائق
وعندهم كيس وفضل شامل لكنه يشوبه مخائل
وفيهم عجب وتيه وصلف ودين كل ما حووه من لطف
وعندهم سوء وفسق زائد وفطنة لكنها مكائد
وعندهم من المراء والرما [1] ماليس يحصيه سوى رب السما
قد جبلوا على السرور والطرب والسعي بين الناس بالامر العجب
ليس لهم عهد ولا ميثاق خص بهذا الخلق العراق

«ذكر بابل»

وبابل شر البلاد والقرى تكسب طبع اهلها شر الأرا
فيهم خلاف وبهم شقاق وعندهم في دينهم نفاق
وفيهم دين ونسك شامل وفيهم الخداع والتحابل

«ذكر الموصل»

والموصل الحدباء خير منزل قليلة الاسواء والتعلل
لهم خواص في الغناء والطرب وكلما يكون من شرط اللعب
وعندهم سماحة وجود لكنها يفسدها التنكيد
لاهلها تيه وعجب زائد اكثره لفضلهم معاند
والدين في عرصتهم غريب والظلم والبغي لهم حبيب

(١) الرما لغة في الرياء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ذكر الجزيرة »

واسمع هديت صفة الجزيرة وماسرى عن اهلها من سيرة
ترابها وماؤها المنساب ليس به علم ولا آداب
لكنه أشيب بالجهالة والحمق المعجون بالرذالة
ما فيهم عقل ولا صباحة وجلهم صنعته الفلاحة

« ذكر نصيبين »

صاب نصيبين عذاب الحمى وخص فيهم ضرها وعما
فما ترى في ربعها صحيحا ولا فتى مهذبا مليحا
دأبهم الخصام والمهاترة والشر والتكذيب والمكابرة

« ذكر سنجار »

وارض سنجار فشر ارض لطالب العلم وباغي العرض
أخلاقهم سيئة ردية وكلهم في قبحهم سوية
لا يعرفون الجود والتكرما ولا الملذات ولا التنعما
قد شغلوا بتعب الأشغال عن العلى وكرم الخلال

« ذكر حران »

واهل حران فشر الناس في الوصف والتقدير والقياس
البخل فيهم أظهر الاوصاف بلا مماراة ولا خلاف
وفيهم من غلظ الاخلاق ما جل عن حكاية الحذاق
تقاصروا عن شرف الفضائل وانهمكوا في أرذل الرذائل

« ذكر الرها وماردين وآمد »

وفي الرها وآمد عجائب وماردين عندهم غرائب
كل اهاليها لئام بكم عن العلى والمكرمات صم
ليس لهم في الدين والعلوم حظ ولا في الشرف القديم
فيهم جفاء وشرور ونزق وعندهم في الود والحب مذق
وكل مولود من الغلمان في ارضهم يعيش كالحيران

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن تربى فيهم صغيرا لم يك في رياسة كبيرا

«ذكر الرافقة»

لا سيما ان حل ارض الرافقه وحل في تربتها علائقه
وكان من ماء البليخ مشربه ومن ثراها اكله ومكسبه
فابك على ذكائه وفطنته وكيسه وعلمه وحكمته
كذا حكى الرواة عن هارون في وصفها ثم عن المأمون

«ذكر الشام»

والشام عين الارض والبلاد وخير دار وأجل ناد
يكسب من يحله جلادة وعزمة يعضدها نجادة
وفيهم ميل الى الولاة ومن له شأن من الكفاة
وفيهم قناعة وصبر لا سيما ان حل يوما أمر
لكنما الحدة فيهم عادة وغفلة تناجها بلادة

«ذكر منبج»

فمنبج طيبة البراري لاهلها رغيدة القرار
لكنها مفسدة للرائي مبيرة للفهم والذكاء
فيها جمال ولها بهاء وفي بنيها منطق هراء
طالعها ليس له سيادة ونجمها ما عنده افادة
وفي بنيها قوة وشدة لكنها ليس عليها عمدة

«ذكر حلب»

وحلب خزانة الذكاء وموطن العفة والحياء
طالعها للغرباء سعد وهي لمن فيها شقا وكد
لكنها تعطي دقيق العلم لأهلها من بعد لطف الفهم
لكنها نتيجة التلاحي وموطن المراء والكفاح
والعصبيات لديهم وافرة وعلقة الحذق عليهم ظاهرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«ذكر حماة»

وفي حماة حمق وخفة ... وفيهم للمكرمات كلفة
لكنهم فيهم ذكاء ظاهر ... يعرفه من لم يعاشر
وفيهم غلاظة الطباع ... معروفة في سائر الاصقاع

«ذكر شيزر والمعرة»

في شيزر واختها المعرة ... خلائق الجهل وطبع الشرة
فشيزر جهل بلا مضرة ... والفهم والضر لدى المعرة

«ذكر حمص»

وعند حمص كل أمر معجب ... من نجدة وفطنة وأدب
لكنها منزلة الرقاعة ... وموطن الخفة والفراغة
وفيهم الحدة والبسالة ... وفيهم القوة والجهالة

«ذكر دمشق»

وفي دمشق منظر أنيق ... يعرفه العدو والصديق
وفي بنيها منظر عجيب ... وخلق تتاجه غريب
لهم رواء حسن مبر ... لكنه عن باطن يغر
وفيهم شكاسة الاخلاق ... وغلظة تنبو عن الشقاق
ودادهم اما شهدت وافي ... فان تغب فالود منهم خاف
وفيهم نجابة وباس ... لكنها ليس لها ايناس
وفيهم غلاظة وحدة ... وفيهم على الغريب شدة

«ذكر فلسطين»

وفي فلسطين ارض الأردن ... والشام الاعلى كل طبع حسن
هواؤه ماؤه والترب ... لأهله فيه معان عجب
تكسب من حل به او نزلا ... نجابة تدرأ عنه العللا
تنتج حب الدين والعبادة ... لأهله والصبر والزهادة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكنه يغلظ الاكبادا ويعظم الفطنة والسدادا
وفيه إمساك وبخل زائد وفطنة لكنها مكايد

« ذكر مصر »

وعند مصر كل أمر معجب تحار فيه فكرة المهذب
طالعها باللعب والمزاح وخفة الأنفس والأرواح
وقلة الغيرة والوفاء والحب للآراء والاهواء
لكنها قرارة الفراعنة وخطة الأراذل الصفاعنة
وفيهم رياسة وهمة وشبق عند النسا وغلمة
والعشق فيهم البذاء فاشي ليس لهم عن قبحه تحاشي
وفيهم علم وفهم وأدب وهمة الى العلاء والرتب

« ذكر المغرب »

وعند أهل المغرب الجفاء وقوة ليس بها مراء
وفيهم بخل شديد وقحة عندالجدال المرا مستقبحة
وفيهم شجاعة عند اللقا خليقة ليست لهم تخلقا
وعندهم علم وفهم وافر وهمة تعرفها العشائر
والعصبيات لديهم جمه لكنهم آراؤهم ملتمه

« ذكر الحجاز »

في الحجاز العلم والذكاء واللطف والنجدة والعزاء
وفيهم دماثة الأخلاق والبأس يوم الخلف والشقاق
وفيهم الغصب سلب المال والسوء والمكر على الرجال
لهم وداد لهم جمال وفيهم الاعطاء والافضال
وفيهم ميل الى اللذات والعشق الغناء والفرحات

« ذكر اليمن »

وعند اهل اليمن القباحة موجودة وقلة الرجاحة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقلة العقل لديهم فاشية لكنما طباعهم مواتية
وعندهم فصاحة وعلم وعزمة صادقة وفهم
وفيهم السخاء والتكرم وفيهم غدر وشر يعلم

* * *

فهذه نتائج البلاد وكنه ما يختص بالعباد
نقلتها عن كل طب ندس رحب العلوم صادق التفرس
ظاهرة الدليل والبرهان واضحة المنار والتبيان
تنفع من يرغب في السياسة ويتقي غوارب الرياسة
ويعتني بخبرة الانام من الأجلا ومن العوام
وقد أتت من حسن التهذيب تلقح رأي الفطن اللبيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net